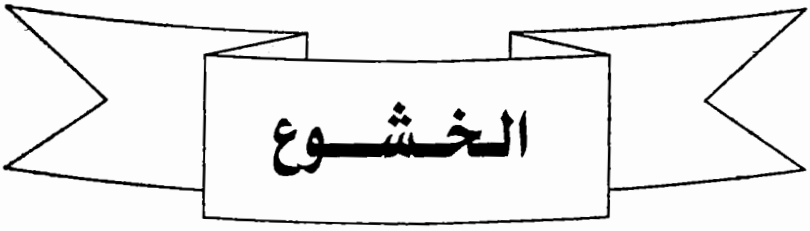

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۞ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾

[المؤمنون: ١، ٢]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله

وبعد..،

ففي هذا الزمان طغت وسائل اللغو على القلوب، فأخذت تدوي حتى تصخ الآذان، وتعوي حتى تصرع الأفئدة، وتثرثر بالليل والنهار ثرثرة كثيرة شغلت العقول، وألهت القلوب، وصرفت المنيبين إلى الله تعالى عن عبادة رب العالمين.

وهنا تظهر الحاجة ملحة إلى الحديث عن الخشوع بعد ما شُوشت القلوب، وزاغت الأبصار، ومادت الجوارح، وأصبح الناس مع وسائل اللهو في كل واد يهيمون. هنا تظهر الحاجة ملحة إلى الخشوع حتى تسكن النفس، وتطمئن القلوب بذكر الله تعالى، وتهدأ الجوارح وتنقاد طائعة لله رب العالمين.

لابد لنا من خشوع، ولابد لنا من طمأنينة، ولابد لنا من سكينة حتى نعقل ونفهم عن الله تعالى ورسوله ﷺ.

وهذه الرسالة الصغيرة تحاول تذكير المسلم والمسلمة بهذه الصفة التي يحبها الله تعالى، ويحبها رسوله ﷺ؛ والتي ينبغي أن يتحلى بها المسلم، حتى ينجح ويفلح في جميع أعماله ويكفي أن الله تعالى قد ضمن الفلاح للخاشعين في الصلاة، فقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾[1].

---

(١) المؤمنون. ١، ٢.

وكذلك يكون الخشوع سببًا للفلاح في جميع الطاعات والعبادات.

نسأل الله تعالى أن يرزقنا حقيقة الخشوع وأن يجعلنا من الخاشعين

❋ **الخشوع**: ذلة ورقة في القلب، وسكينة في النفس، وانقياد في الجوارح.

❋**الخشوع**: سكينة وطمأنينة ورضا، وانقياد لأمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ، ويكون أصله في القلب، فإذا خشع القلب خشعت الجوارح وسكنت وانقادت وذلت لله رب العالمين.

❋ فوائد الخشوع:

للخشوع فوائد عظيمة منها:

١- خلوص النفس من عللها وآفاتها كالكبر والزهو والغرور ونحوها:

إذا خشعت النفس وسكنت، وتواضعت وتطامنت لله رب العالمين، فإنها تقر بالعبودية، وتحقق معناها وتسعد بالاتصاف بها.

فالعبد الخاشع يتحقق في نفسه أنه عبد لله تعالى، وأنه تزيد درجته وقربته عند ربه كلما تحقق بهذا المعنى؛ فإذا علم ذلك ووقر في نفسه لم يستطل على أحد من عباد الله تعالى، لأنه يعلم أن له حدًّا لا يتجاوزه وهو كونه عبدًا مملوكًا لله تعالى، والكل عبيد مملوكون له سبحانه، فليس لأحد أن يتكبر أو يتطاول على غيره، أو يفخر أو يزهو عليه بما لديه من مال أو جاه أو قوة أو سلطان؛ لأن ذلك كله ليس ملكًا له، ولكنه عارية مستردة من الله تعالى.

فإذا كان مراده الرفعة والحظوة والشرف والمنزلة عند سيده ومولاه؛ فإن ذلك لا يتحقق له إلا بالإمعان في التعبد وإظهار الخشوع والتواضع والتذلل، فإذا علم ذلك علم أن تواضعه وتذلله وخشوعه لله رب العالمين هو سبيل الشرف والرفعة والعزة في الدنيا والآخرة.

ومن هنا نعلم أن أول فائدة من فوائد الخشوع هي خلوص النفس من آفاتها وعللها: كالكبر والبغي والفخر والزهو والغرور والخيلاء، أعاذنا الله تعالى من ذلك كله. آمين.

٢- الاستجابة لله تعالى ولرسوله ﷺ:

إذا خشع العبد، وتواضع لله تعالى، وسكنت نفسه واطمأن قلبه بشرع الله تعالى؛ فإنه يكون مهيأ للاستجابة لأوامر الله تعالى، وأوامر رسوله ﷺ امتثالاً لقوله تعالى: ﴿يأيها الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لله وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ الله يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[1].

فالقلب الخاشع هو القلب الذي يفزع لأمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ، ويرتعد لأجله، ولا يتهاون به، ولا يضيعه، وقد وصف الله تعالى المؤمنين الصادقين الذين خشعت قلوبهم لله رب العالمين فقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ الله وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[2].

٣- الفهم عن الله تعالى ورسوله ﷺ:

القلب الخاشع، والنفس الساكنة المطمئنة، والعقل المستنير بنور الله تعالى، الذي لا ينشغل بسواه هو الذي يعقل كلام الله تعالى، وكلام رسوله ﷺ ويفهم عن الله تعالى مراده، وعن رسوله ﷺ.

أما القلب والعقل المشوش بالباطل، المملوء باللهو واللغو وسفاسف الأمور فأنى له أن يعقل وأن يفهم مراد الله تعالى ومراد رسوله ﷺ، فهو مشوش العقل والقلب والخاطر، تتنازعه الشهوات والأهواء والشبهات، فلا يكاد يعرف الحق من الباطل، ولا يكاد يستبين سبيل الهدى.

---

(١) الأنفال: ٢٤.

(٢) الأنفال: ٢.

* كيف يتحقق الخشوع؟

للخشوع أسباب لا يتحقق إلا بها، فمن هذه الأسباب:

١- ترك اللغو:

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۞ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾[1].

فقد حكم الله تعالى في هذه الآيات بفلاح المؤمنين الذين يتصفون بهذه الصفات، ثم ذكر أعظم صفة من صفاتهم التي هي سبب فلاحهم وهي الخشوع في الصلاة، ثم ذكر بعد ذلك الصفة التي تعينهم على الخشوع في الصلاة، وهي الإعراض عن اللغو.

واللّغو هو: كل كلام فارغ، وكل عبث باطل، وكل أمر ينبغي أن يتنزه المسلم عن فعله.

فمن أمثلة اللغو: كل ما لا فائدة فيه من الكلام الذي يخوض فيه الناس من الحديث في المباريات والأفلام والمسلسلات، وسماع ذلك والإكثار منه، وكثرة الجدال والمراء فيما بينهم، والخوض في الأعراض ونحو ذلك، وبعض ذلك قد يكون حرامًا أصلاً، وقد يكون مباحًا ولكن يوقع المسلم في المكروه بالإكثار منه، أو يوقعه في الحرام لأنه قد يشغله عن طاعة مثل الصلاة أو يشغله عن عمل هو أولى وأنفع كتحصيل رزق أو مذاكرة علم، ونحوه.

والحقيقة أن هذا أمر واقع ومشاهد ومجرب، فقد ذكر لي أحد الشباب أنه لا يستطيع الخشوع في الصلاة، لأنه يقف في الصلاة فيخيل إليه مشهد ضاحك من المشاهد التمثيلية فيضحك، أو يحضره مشهد مؤثر من تلك المشاهد، أو ينشغل بما

---

(١) المؤمنون: ١-٣.

سوف يصنعه الفريق الفلاني، وهل سيفوز في مباراة اليوم أم يخسر؟!..إلخ.

وإذا كان هذا اللغو يؤثر على الخشوع في الصلاة ويفسدها، فإنه يؤثر على جميع الطاعات، حيث يشغل القلب ويبعد النفس عن فعل الطاعات لانشغال القلب بما لا يعود عليه بخير في الدنيا ولا في الآخرة.

٢- تفكر المرء فيما وراءه:

والمقصود بتفكر المرء فيما وراءه أن يتفكر المرء فيما ينتظره من الحساب والعذاب والأهوال؛ فإن كان لا يجد ما يشغله، فلينشغل بعذاب القبر ومواقف الحساب، ووزن الأعمال، وتطاير الصحف، والمرور على الصراط، والقصاص منه لأصحاب الحقوق التي عليه.

فعليه أن يجعل من ذلك كله أهم القضايا التي تشغله، وقد أرشدنا النبي ﷺ إلى ذلك فقال: "من جعل الهموم همًّا واحدًا،هم المعاد،كفاه الله سائر همومه، ومن تشعبت به الهموم من أحوال الدنيا لم يبال الله في أي أوديتها هلك"[(١)].

وقال ﷺ أيضًا: "من جعل الآخرة أكبر همه جعل الله غناه في قلبه، وجمع عليه شمله، وأتته الدنيا راغمة، ومن جعل الدنيا أكبر همه جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له فيها"[(٢)].

فإذا انشغل العبد بذلك خشع قلبه، وخشعت نفسه وجوارحه لله رب العالمين، وكان مثل هذا الصحابي الجليل حارثة - رضي الله عنه- وقد روى أن النبي ﷺ سأله: "يا حارثة كيف أصبحت؟"، فقال: أصبحت مؤمنًا حقًّا! فقال

---

(١) أخرجه الحاكم وقال: "صحيح الإسناد ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي(٢/ ٤٤٣)، وصححه الألباني في "صحيح الجامع"(٦١٨٩).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في "مسنده"(٥/ ١٨٣)، والإمام الترمذي في جامعه(٢٥٨٣-أحوذي)، وصححه الشيخ الألباني في" صحيح الترمذي"(٢٥٩٦).

رسول الله ﷺ :" انظر ما تقول، فإن لكل قول حقيقة فما حقيقة إيمانك؟" قال: عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي، وأظمأت نهاري، وكأني أنظر عرش ربي بارزًا، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها، وكأني أنظر إلى أهل النار يتضاغون فيها قال:" يا حارثة عرفت فالزم"[١].

٣- التفكر في نعم الله تعالى عليه:

مما يورث الخشوع أيضًا أن يتفكر العبد فيما أنعم الله تعالى عليه من النعم؛ فإنها كثيرة جدًّا تستعصي على الحصر والعد.

قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٣].

٤- محاسبته لنفسه ومشاهدته لتقصيرها:

مما يعين على الخشوع كذلك أن يحاسب العبد نفسه على تقصيرها إزاء شكر الله تعالى عليه؛ فإنه إذا تفكر في كثرة النعم، وتفكر في كثرة ذنوبه ومعاصيه وتخاذله وتقصيره في طاعة ربه، وحاسب نفسه على تقصيره ـ أورثه ذلك حياء وخشوعًا وانكسارًا وذلة بين يدي الله تعالى وإنابة إليه.

٥- تدبر ما أنزل الله على رسوله ﷺ:

مما يعين على الخشوع كذلك أن يتدبر العبد آيات الله تعالى وما أنزل على

---

(١) ذكره الهيثمي في "المجمع"(١/ ٥٧) وعزاه للطبراني، وفيه ضعف ويعتبر بمثله في أبواب الزهد والرقائق، وليس فيه ما ينافي الأخبار الصحيحة الثابتة.

(٢) إبراهيم: ٣٤.

(٣) النحل: ١٨.

رسوله ﷺ سواء كان في الصلاة أو خارجها، فإذا كان في الصلاة فهو أحرى أن يخشع ويتدبر آيات الله تعالى فهذا أدعى لخشوع نفسه وسكونها وانقيادها لله رب العالمين وإذا كان خارج الصلاة كان ذلك هو الواجب عليه أن يتدبر كلام الله تعالى، وكلام رسوله ﷺ كما قال تعالى في صفة عباد الرحمن: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾[1].

٦- سماع المواعظ ومعرفة أخبار الصالحين والهالكين:

وهذا أيضًا من خير ما يعين على الخشوع، وهو سماع المواعظ من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، ومعرفة أحوال الصالحين وما كانوا عليه من الزهد والخشوع والورع والقنوت لله رب العالمين، ومعرفة ما كانوا فيه من الخير والبركة، وكيف ختم لهم بخاتمة السعادة والنجاة.

وأن يعرف كذلك أحوال المعرضين والمعاندين وكيف أن ذلك كان سبب كفرهم وهلاكهم وقسوة قلوبهم.

ولننظر إلى الموعظة الربانية الرقيقة الآخذة بجوامع القلوب، وهو قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ۞ اعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[2].

٧- تلاوة القرآن:

من أهم أسباب الخشوع تلاوة القرآن وتدبره وفهمه، قال تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا

---

(١) الفرقان: ٧٣.

(٢) الحديد: ١٦، ١٧.

هَذَا القُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ الله وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

فهذه هي أهم أسباب الخشوع، نسأل الله تعالى أن يجعلنا من الخاشعين المنيبين، إنه سبحانه نعم المولى ونعم النصير.

❁❁❁

(١) الحشر: ٢١.